الفصل
الثاني عشر

حزني لقلبي فقط

تنفس رؤف بانفعال: هكذا كسرتَها بعد أن استنزفْت مشاعرها... رد عليه بلمعةٍ شاردةٍ من عينيه لم يكن الموقف الأخير في خُطة كسرها؛ فقد واصلت بعض الوقت... رد رؤوف بحُزن: واصلت ماذا أيها الجاحد ألم يكفيك ماحدث؟؟ رد(أمجد) مشيراً إليه ببطئ:آراك مُتأثراً لأجلها هل نسيت أفعالها يوم جاء المدعو(حسين) إلى الجامعه؟ رد رؤف بهدوءٍ حزين:أنت تَعلم جيداً أنه لم يَكُن يُعنيها بالمره وأن ما فعلَته كان ردًا على تجاهُلك لها وقد فهمتُ أن كَرامتِها أغلى بكثيرٍ من قلبِها وقد إكتَشفتُ فيما بعد أنه مُرتبطًا بصديقتها... أكلِ هذا لأنها ثارت لكرامتِها ولم تقبل أن تنجرف فى التيار كالباقيات؟ رد (أمجد) بخَجل:بالفِعل.. هى المدعوه كرامتها هذه التى جعلتنى أردت كسِرها بالكامل فبعد هذا الموقف قد توقفت عن الحضور إلى الجامعه بحُجة أن السكاشن قد إنتهت وانها تنسخ المُحاضرات مِن زميلاتها ولم آراها فيما بعد إلاعند الاختبارات؛ لمعت عينيه وتاهت فى الماضى البعيد.....

وقفت (نرمين) تحتضن دفاترها أمام مبنى الجامعه حتى تنفتح لِجان الاختبارات لمحها وَسَط الزِحام شاردةً كسيرة العينين وبجوارها (نجوان)فحياها وأشار لها أن يُحى صديقتها الشارده فنكزتها لافتةً نظرِها إقترب منها وسط الزِحام عندما نظرت خلفِها لَمَحَ نظرتِها الكسيره قبل أن ترفع بصرها إليه وتعود لها مسحة الكبرياء مرةٍ أُخرى فرحَبَ بها

ردت عليه التِرحاب بإيمائةٍ باردةٍ من رأسِها... مزح قائلاً: ولما هذا المجهود ألستِ خائفةً أن تشتكى من آلام رأسِك؟؟ فردت عليه (نجوان) بنفس المُزاح:لا تُبالى من زميلتنا العزيزه إننا جميعاً نَعلم تماماً أنها تُكِن بعض الخشونه للجنس الآخر... فرد عليها ضاحكاً بصوتٍ عالٍ مليئاًبالغرور مُشيراً لنفسِه:نحن هُنا مُهمَتِنا أن نكسر الخشونه وحمدلله لقد كسرناها قالها وهو يغمز بعينيه لعينيها

الكسيره...فأغمضت عينيها لحظه ثم ردت عليه قائلةً:إذن سوف تَرميها بعد أن كسرتها أليس كذلك؟؟ وقبل أن يتَحدث إستدارت بوجهها بعيداً عنه مُغمضة العينين حتى تستطيع أن تُلملم نفسِها وتجمع أفكارِها لأجل إختبارِها المُقبله عليه.....

لم تُراعى حتى أنها مُقبلةً على إختبار العام الأخير؟! قالها (رؤف) وهو يضرِب كفيه ويُحملق بصديقه فأي قلبٍ هذا الذى ينبُض بين أضلُعِه؟! رد (أمجد) قائلاً: وهل تَعتَقد أنها تنازلت عن كبريائَها؟ فعندما جاء اليوم الأخير ذهبتُ لأودعَها... مددت لها يدي فلم تتنازل عن مبدأها بألا تُعانقُ يدها يد رجُلاً... فقُلتُ:هذه آخر مره نلتقى بها... ردت بمُزاحٍ ضاحكةً:لا تُمزق قلبى يا(أمجد)...عاد للماضى مرةً أخرى...

فقد ظلَ باسطًا يَده فى إصرار وهى تودعه بكلماتٍ رَسميه ثم وضعت مِنديلها الورقي فوق راحته قائلةً: حتى لا أُخجل يديك.....أمسك المِنديل وأخذه مودعًا لها و(حوريه) ثم إستدار مُبتعداً؛ وقفت تتابعه بعينيها وهو يبتعد حتى غاب تمامًا عن نظرها؛ربتت (حوريه) على كتِفها في إشفاق: حتى يتلاشى عن نظرِك يا حبيبتي؟؟ قالتها صديقتها وهي تربت على ظهرها بكل عطفٍ وحنان نَظرت لها بحُبٍ وإمتنان لصديقتِها التى تُحسُ بِقلبِها المَقهور...لم تَبكى ولم تَحكى عن مواقفه الأخيره التى مزقَتها فقد إدعت القوه وكثفت تفكيرها فى دِراستها.....

تَقدم لها أكثر من خاطبٍ للزواج فلم تُحاول مُجرد التَفكير... أما هو فبعد التَخرُج بأقل من العام قد إرتبط.....

إستيقظت من نومها على صوت هاتفها فوجدت إسمه يُنير الشاشه فعلِمت على الفور أنه سوف يقوم بدعوتِها لعُرسِه فقد عَلِمت منذ فتره من (سُهير) بخبر إرتباطه وعندما أخبرت (نسمه) وهى تُعانقها بحُزن... هَتفت بانفعال:هل توجد شخصيه بهذه الحاره؟! وأخذت تَصبُ عليه اللعنات لما فعله بصديقتها والتى تعتبرها نصفِها الآخر...

ردت على الهاتف:جائها صوتِه الناعم مُرحباً فكما توقعت... قام بدعوتها على العُرس وطلب منها دعوت (حوريه)...فوعدته بذلك ودعت له بالسعادة والهناء..وبالفعل قد أبلغت(حوريه)...و يوم العُرس إستعدت وهاتفتها للذهاب سوياً فأجابتها(حوريه) بالسِباب واللعنات عليه وعلى عُرسِه ولم تُعطِيها الفُرصه حتى على الإعتراض فأقسمت عليها بكل إصرار أنها لن تَذهب حتى لو كلفها الأمر أن تأتى إليها وتُقيدها بسلاسل حديديه؛ حاولت أن تتحدث لكنها رفضت النِقاش بأى شكلٍ من الأشكال.... تنهدت (نرمين) باستسلام وكأن صديقتها قد أفاضت بما بداخلها فهى نفسِها لم تكن تَعلم مدى سيطرتها على مشاعِرها عندما تراه برداء العُرس هى تتوسم بنفسِها الشجاعه والقوه لكنها أبداً لن تستطيع أن تُجزم بالحِفاظ على هذه القوه للنهايه فقد كانت بالفِعل بحاجه إلى يد تنتشلها مما هى قادمه عليه فربما أودت بحياتها فى لحظةِ تهور من شجاعتها المزعومه وكانت هذه اليد هى يد (حوريه) التى شعُرت تماماً بصديقتِها وحسمت أمرِها بأن تُحميها من نفسِها....

تَنَهدَ رؤوف بحُزنٍ وإنفعال: دعت لك بالسعاده؟!!! أطرق بعينيه أرضاً وهو يتمتم بالإيجاب....رد رؤوف بجفاء: أتشوق كثيراً لمَعرِفة ما بين ضلوعك أهو قلبٌ يدُقُ مثلَ قلوبنا؟! رد عليه بابتسامه غامضه: لقد رمَمَت نفسِها مَرةً أُخرى فلا تَحزَن.... فلقد عَلِمتُ أنها إمتَلَكَتْ دارٌ للنشر تتبعها جريدةً ومَجَلَه؛ ليس كذلك فحسب بل أنها أصبحت كاتبةً للروايات والمقالات والقصص القصيره فقد عادت لهوايَتها القديمه..... ظَفَررؤوف مرةً أُخرى وهو يقول:تَغَلَبَتْ على نَفسِها ولكن يَعلمُ الله ما بدَاخِلِها ؛ على كل حال هى بلا شك أوفر حظاً من (ريهام) صاحبة السلاح القاتل التى كانت نهايتِها مقتولةٍ بخِنجَر القُلوب؛ ثم إستطرد باستفهامٍ وترَقُب: يأتى الآن دَوْر السُؤال الذى يُلحُ عليّ من بدايةِ اللِقاء الدافئ المليئ بالذكريات الناريه: ماذا تُريد مِنها بالتحديد؟؟لمَعت عَينيه بمَسحَةِ حَنين:أعلِمتُ ما أول موُلَفاتِها؟ رَد (رؤوف) بإيمائة إستفهام؟أجابه بهَمسةٍ حانيه: (كَلِمات) !وقد سَرَدَت بها تفاصيل قِصتِنا كاملةً... وماذا كان رأيها

في (كلمات)؟؟ تسائل روُوف؟ أجابَه بدهشه: لم تُصَرِح عن رأيِها في شخصيتى بالروايه فقد تَرَكتْ الرأي للقارئ! معنى ذلك أنني ماذلتُ أحتل كيانها... عاد(روُوف) لنَفس السؤال الحائر:وبعد؟ماذا تُريد منها بالتحديد صارحنى يا (أمجد) فبلا شك لن تُهاتفَني لآتيك من عُشى الصَغير إلى هذا المَقهى العريق صاحب ذكريات الصبي....لكى تُخبرنى فقط عن

أخبارها الجديده! فماذا تُريد من إمرأةٍ تم كسرِها وقد لَملَمَت بَقايا نَفسِها للتو؟ تحدث دون دورانك المُعتاد....أطرق أرضاً: وهل تَتَوقع منها أن يكون رأيها بي أقل من الغرام المُولِع ألم تتفكك حياتِها لأجل غرامِها القديم الذي أخبرتنى به صديقتَها؟ فبالتأكيد لم تستطيع الاستمرار بحياتِها بدون حُبها فأنا أول من دق له قلبِها... رد(روُوف) بانفعال: لاتتهرب بعينيك وكلماتِك من سؤالى فهو محور الحديث ليس بيننا فقط ولكن داخل نفسِك لابد من حسم هذه الإجابه وفوراً... قالها وهو يضرِب بيديه على الطاوله مابينهم... إنتفض (أمجد) بإنفعال:أفتقدُها... تحدَث مُتفاجئاً من نفسِه ثم استطرد:أسترجع ذكرياتي معها في كل موقف وبين المُناسبةِ والأخرى أتذكر ماذا كانت تُحلل هذا الموقف وماذا كان رأيُها بذاك الحديث حتى أنني أحياناً أقف بالشُرفه لأتحدث إليها وكأنَها بالقُرب مِنى بنظرة التَحدى بعينيها، برعشتِها التى تُحاول أن تُسيطر عليها بدون جدوى بسبب صراعِها الداخل، بملامِحَها الرقيقه ذات البرائه والشفافيه، أتحدث إليها في بعض المُشكلات فأراها تُجيبنى بتحليلاتِها العميقه؛ أنسجم أحياناً مع قصيدةٍ قديمه لنزار أو فاروق أو غيرهُما فأراها تصدح معى على نغماتِها وآرانا نتناقش سوياً بمعانِيها العَميقه... أشعُر أنها تفهمني بكُل عُمقٍ وعَدل بنرجِسيتى، بِذَكَائى ومواهب، بعطائى وبُخلى، بطُمُوحيّ الجامح ... وتستوعب كل شئ بل وتتبناه وتستنزف نفسِها من أجل أن أصل إليه وأُحققهُ فأنا أشعُرأن كل إنجازاتي كُنا معاً جنباً بِجَنب... والآن أُريد فقط أن آراها فقط أن أشعُر بِها أمامى بحقيقتها وليست أطيافً بأحلاميّ الليليةِ الناعمه؛ سأراها يا (روُوف) بأي ثمن سأراها مهما كلفني الأمر!!

قـال حديثـهُ دُفعـةً واحـدةً وكأنـهُ يَخـاف أن يتوقـف لحظـه فيفقـد شـجاعتِه... ثـم وضـع رأسِـه بـين راحتيـه فـي تهالُـك... ربـاااه أي تنـاقُض آراه أمـامي وتقـول أنهـا التـى كانـت تُصـارع نفسِـها؟!! إذن لماذا تركتَهـا يـا صديقى؟!! قالهـا رؤوف بكل شفقةٍ وحُب لأجل أعز أصدقائِه... صـدِقني أنـا نفسـى لا أدري إجابـةً لهـذا السـؤال!! قالهـا (أمجد) بنفس التهالُك دون أن يرفع رأسِه من بين راحتيه.....

وَقَفَت أمـام مِـدفَئتِها العتيقـه تُلقـي بِهـا بَعض الأوراق وهـى منتشيه والإبتسـامه تتسـع بوَجهِهَا فكُلمـا أُلقَت رُزمـةٍ مِنهـا كانـت تَزدَادُ نـوراً ودِفئاً فَتَزدَادُ نشوة الحياه وتتضائل الذكريات برأسِـها فقد كانت مثلَ الجِبال ثم أصبَحت كالرِمال واليوم نَسفَتْها العَاصفةُ القويـه التـى هَبَت بِداخِلِها عندما قررت أن تبحث عن نَفسِـها وتَفُكَ قيودِها فقد كانت زيجتها ماهى إلا قيدًا جديد من قيودِ(أمجد) حتى وهو خـارج حياتِها فقد فَرضَ عليها قيودِه برغم بُعد المَسافات فقد تزوَجَت شخصٍ بعيدٍ كل البُعد عن فِكرِها لمُجرد ألا تكون نُسخةً منـه وتُدمِر قلبً قد أحبها وتمنى وجودَه بِجَانِبَها فقد قالت فى نفسِها أنها قد ودعت السعاده بلِ الحياه معه فَلِما لاتهِب حياتِها لإسعاد غيرِها بدلاً من أن يتَجرع من نفسِ الكأس المَرير وهى في يديها إسعاده بِكلمه(فما يَضُرُ الشاه بعد ذبحِها؟)... لم تَكُن تَعلم أنهـا قد تَصل للجنون أو القتلِ بهذا القرار الخيالي فقد تفاجأت بشخصٍ كذوبٍ جاحد مُتحجر القَلب من أشباهِ الرِجال فقد كاد أن يُفقدَها عقلِها وكأنَه يَنتَقِمُ مِنها إلى أن إكتَشَفَت بعدَ ما يَقرُب مِنَ الخَمسَةِ عشرةِ عامٍ أنَهَا هي التى إنتَقَمَت من نفسِها بهَذِه الفِعله فبَدأت بالرجوع لموهِبَتِها العَتيقَه فقد عَمِلَت بكُلِ جُهدِها حتى إفتَتَحت دارٍ للنَشرِ ثُم قررت كتابة قصتِها مع (أمجد)

أولاً حتى تَتَخَلص مِن جِبالِ العذاب القابعه بِداخِلِها فهى لم تُعطى لنفسِها فرصه للحزن وقتِها لكنهَا إنهارت تمامًا عندما قررت كِتابتِها فقد عاشت كُل لحظاتِ ذكرياتِها مِن جَديد كأنها مازالت حيةٍ أمامَها كانت تَشعُر بالدِماء تنزِف مِن قلبِها بل كُل كيانِها كان لقاءً دامياً مع الذكريات لكنه كان حتمياً فبالفِعل عندما أفرَغَتها جميعًا قد وضعتها

داخل صندوقٍ من زُجاجٍ كالمَتاجِر ونظرت عليها من الخارج لتكتشف أنها مُجرد أتربةٍ مِنَ الرمالِ المُلوثَه وقد نَفَضَتها تماماً مِن أعماقِها فقد إسترجَعَت حقارتهُ مع (حامد) المِسكين ذا الإحتياجات الخاصه والذى كان مَحط عَطف الجميع حتى المُعلمين إلا أنهِ كان يكيدُ له كيداً دون رحمةٍ مِنه ثم فِعلته مع (نُهى) التى أحبته ووثَقت بِه حتى أنها إعترَفت له بمشاعرها والتى فضحها بها عِند الأصدِقاء وأخيراً فِعلته الدنيئه مَعها..... فقد تَحررت من هذه القيود عندما وئدت آخر أوراقٍ تربِطُها بالماضى فقد ألقت لنارِ المِدفأه ما كانت تحتفظُ بِه لأكثرِ مِن عِقدٍ وهى دفاتِر أشعارِه المزعومه.... كانت منتشيةً تشُعر أخيراً بحُريتِها بعدما تَذوَقت طعمِ النَجاح فقد أشاد بموهبتِها أشهر وأكبر الكُتابِ والأُدباء وحَقَقَت جريدَتِها شُهرةً واسعةً وعدد قُراءٍ ومُشاهداتٍ أكبر مما كانت تتوقع.....

جلست بخُيَلاء على مِقَعدِها الهزاز وهى ترتشفُ مشروبِها المُفضل وتُتَابِع نارِ مِدفئتِها وهى تلتهم أشلاء الذِكريات الداميه والتى عصِفَت بها ريحُ الحُريه.....

آرانـي أذكُرك.....أتـذكرُ عينيـكِ... شـفتيكِ وفـى وِحـدتى. أتحـدثُ إليـــكِ.... تُـــرى مَـــن أنـــتِ ومـــا قصـــتى لـــديكِ؟؟ آآآآه صغيرَتى الضَحيه..... بَل ضَحيَتى الصَغيره.....الآنَ أذكُرقصتى لـديك.....أذكُرُك مـن مَنبَتِ شَـعرِكِ حتـى إظفَرَقَـدَميكِ..... أذكُـرُكِ بِبَرَائَـةِ عَينِـكْ ونَضَـارِةِ وجـدكْ.... بِشـعرِك المُتَطَـاير بإنسـيابٍ وبرائـه..... كُنـتِ تُبـدين كطـاوسٍ مُتـداخلُ الألـوان؛ مُتغطـرسُ الأحلامْ.....أحرقَنـى شـموخُ عينـكِ.... كنـتُ كـوحشٍ غـادرٍ أتميـزُ غيظاً..... وفوقَ أوراقي أعددتُ خُطتى لأسرِقَ قلبَ صَغيرتى.....

لكننى أضعتُ عُمرِكِ مولاتي

أعددتَها لأفوز بعينـاكِ ثُمَ أُهملها كالسابقاتِ...وتركتُكِ كطَائِرٍ مُرتَخِيَّ الجُنَاحَـــــــانْ.. مَجـــــــروحَ السِـــــــيقانْ
لم أكُ يوماً أتَخَيلُ أَنى لم أسرِقَ عُمرِكِ سيدَتى بَل سُلِبَ قَلبى!! فكيفَ ضَحيَتى أصبحتِ حَبيبَتي؟!!

أتَودد إليكِ عِندَ كُلِ مَساءٍ بالشُرفه أتحدثُ إليكِ بدمُوعٍ مُلتَهِبَهْ.....لم أرحمَ ضَعفَكِ فى الماضى لَكِنى الآنَ أُناجيكِ.....أتحَسَسُ أنفاسك فوقَ الملعونة أوراقى أبحثُ فى العالم أين أراضيك والآنَ أُلملِمَ أوراقى لأعودُ إليكِ أحرِقُها بين يديكِ....لأنى صَغيرَتى لن أجِدَ عُمرى سِوى بينَ يَديكِ...بَل أسفَلَ قدميكِ

(قُلوب العِباد بين أصابع الرحمن يُقَلبُها كما يشاء) سُبحانَهُ وتعالى ففى الوَقتِ الذي يُلملم أفكارِه عائداً إليها ليَراها ويَروي ظَمَأَهُ من حُضورِها الدافئ الذى قد إشتاقَ إليه... تكُن هى قد تحررت من كُلِ قيودِه وتنفست هواء التَحَرُر مِنهُ؛فبعد ليلته الطويله مع (رؤوف) قد حسم أمرِه فبَحث بكُلِ وسائل التواصل الاجتماعى وبين الأصدقاء القُدامى حتى إستطاع أن يصل لعنوانِ جريدَتِها ومواعيد تواجُدها بشكلٍ دَقيق كان ذاهبًا إليها على يقينٍ تام بفرحَتِها العارمه عند رؤيتِه كان واثِقًا من إشتياقها وولعها به بل كاد يُجزم بأنها تنتظرَهُ على أحرِ من الجَمرِ، كان يقود سيارتِه وسط الزِحَام وهو يحترق شوقًا لرؤية عينيها وهى تتراقص فَرحًا عند رؤيتِه وكيف أنها أصبحت مِلكه من جديد فهو يعرف جيداً أنها تَحتفِظُ بدفاتر أشعارِه فقد قَصت عليه(حوريه) كُلِ شئٍ عندما كانت تُحاول تحفيزِه على الإرتباط بصديقتها وقد كان وقتَها منتشياً بنرجسيه مُتلذذاً بِهَذا العذاب؛ واليوم يتم تبادُل الأدوار فهو مُنذُ أن حَسم أمرِه وقَرر قَطع الطَريق من الأسكندريه إلى مَقرِ عملها بالقاهِره وهو لم يذُق طعمَ النَوم بل أنه قد إكتسبَ عادةً سيئةً لم يفعَلَها من قبل حتى وهو فى ريعان شبابِه فقد إبتاع أكثر من صندوقٍ للسجائر ولم يكُف عن التدخين طوال الطريق متخيلاً نظراتِها المُرتعِشه التى تبحث وتتراقص بصمتٍ عِند رؤيَته.....

كانت مُنحنيةً فوق مكتبها بجريدتها وهى تَسطُر مقالِها الجَديد تائهةً بين السطور فهي ملاذِها مُنذُ طفولَتِها فكيف إبتعدت عنها وأغمدَت نارِ شوقِها إلى هذه الموهبه التى دائماً ما تشفي جراحها كانت تشعُر بسعادَتِها بداخل مكتبها الرَحيب ذات البهو الواسع والتى

إختارته وأعدت به رُكنٍ للضيوف ذات مِدفأةٍ ومقاعدٍ بتُراثٍ عتيقٍ وكرسي هَزاز بالطبع لتَشعُر بأجواءِ المنزل الدافئه بداخلِ مكتبِها....دقات خفيفه على البَاب قد قَطَعَت إنغماسِها فى معشوقَتها الكتابه فأذِنت بالدخول:هناك شخصٍ يريد مُقابلته شخصيه ولم يَذكُرأسباب اللقاء ويقول أنه أمرٍ شخصي وأنه زميلٌ قديم منذ الجامعه شعُرت بكل سعاده عندما سمعت عن الجامعه أجمل سنين العُمر إذن فلتُدخله

على الفور..أشار له عم مُختار بالدخول، عندما رأته إبتسمت ببرود مُرحبةً به ثم أشارت لعم مُختار أن يدخله رُكن الضيوف ثُم جَلست بَعض الوَقتِ فوق مكتبِها بعد أن طلبت له مشروبها المُفضل لها هي وليس هو....

اليومَ يراها بعيدةً كالجبل وهو يتضائل أمامها كالرمله فسُبحان من يُغير ولا يتغير إنضمت إليه فى الركن العائلى بعد أن جائهم عم مُختار بمشروبها الساخن المُفضل قدحين مع بعض النقانق والحلوى الصغيره جلست على مِقعدِها الهزاز أمام المدفأه وهي تولي ظهرِها له وترتشف مشروبِها الساخن بِبُطئ كان مُحملقاً فى ظهرِها يتمنى رؤية عينيها المُشتاقةً إليه كما يعتقد قعطت الصمت وهى على نفس الوضع:خيراً؟ أي ريحٍ طيبه قد أتت بك إليَّ؟! إنتشت نرجسيته مُجدداً وبدأ الحديث.....